يغيب عن بالنا، في هذا المجال، اتجاه الدول الامبريالية والشركات متعددة الجنسية لاقامة مراكز اقتصادية قوية كواجهات وكنماذج لاقتصاد «حر» ذي مظهر عصري متقدم (الأرجنتين، أوروغواي، شيلي، المكسيك، كوريا الجنوبية.. الخ).

وهنا يكمن تناقض (تعبيراً عن الأزمة الموضوعية للرأسمالية العالمية) بين استمرار الحاجة إلى خدمات هذه الفئة «الطفيلية» لإتمام المهام الموكولة إليها، وبين متطلبات الاستقرار التي لن تتوافر إلّا بهيمنة القطاعات الأكثر استنارة ونضجاً من الرأسمالية المحلية، خاصة بعد أن أتمت عملية التغييرات الجذرية في البنية الاقتصادية ـ الاجتماعية وربطها بشكل محكم بالاقتصاد الرأسمالي العالمي، وأنجزت المهام الرئيسية في إلحاق مصر بالتحالف الأميركي ـ الاسرائيلي، سياسياً وعسكرياً، وفي خدمة مخططات اميركا في المنطقة.

□ وفيما يتعلق بالأساليب، تبنّت القطاعات «المنشقة» من البورجوازية شعارات «الديمقراطية» ـ بمفهوم ليبرالي ـ بما يكفل لها حرية العمل ويكسبها شعبية بين الجماهير المتطلعة إلى الحريات، خاصة وهي تفتقر إلى القدرات النضالية والتنظيمية، وتعتمد أساساً على المؤسسات القائمة (مؤسسات الدولة والقطاع العام والفئات المهنية... الخ) كأشكال «جاهزة التنظيم» بديلاً عن الأحزاب السياسية، وتتطلع إلى استخدام و«ركوب» الحركة الجماهيرية لانتزاع السلطة من «حلفائها الألداء» بأشكال تتجنب العنف (انقلاب قصر أبيض).

ومن هنا، فإن مقتضيات التغيير تنبثق عن اعتبارات موضوعية محلية. وللبورجوازية المصرية صاحبة التقاليد والوزن والخبرات العريقة دور بارز فيها. وهي تلقى دعمًا وتأييداً من جانب الدوائر الامبريالية التي تنشد الاستقرار، لأهم موقع استراتيجي تملكه في الشرق الأوسط.

التحضير لبديل «مستنير» «يرشد» ولا يغير نهج النظام

لذا فهي، بعد أن عجزت عن ترشيد الطغمة الحاكمة المرتهنة بمصالحها الطفيلية، وفشلت في توسيع إطار الائتلاف الحاكم بالقوى الأكثر استنارة، وبسبب تفاقم عزلة النظام وتعاظم قوة الحركة الوطنية والراديكالية، شرعت في التحضير لبديل بإعداد «مراكز قوة» داخل إطار مؤسسات الحكم وخارجها.

وقد عرقلت المقاومة الشعبية المتصاعدة إنجاز «مهام ما قبل التغيير» المستهدف (التطبيع، الحكم الذاتي الفلسطيني ومعاهدة عسكرية مصرية ـ اميركية)، وهي المهام التي أوكلت للسادات في المرحلة التاريخية التي تنتهي قبل الانسحاب الاسرائيلي من باقي مناطق سيناء في نيسان (ابريل) القادم. ومن هنا كانت توقعاتنا باحتمالات أن تأتي رياح التغيير